المشرق

مجلة كاثوليكية تصدر مرتين في الشهر برسوم وتصاوير عند اللزوم

تحتوي مباحث علمية وأدبية وتقنية

بادارة آباء كلّيّة القديس يوسف لصاحب امتيازها الاب لويس شيخو اليسوعي

السنة السادسة

١٩٠٣

قيمة الاشتراك ١٢ فرنكاً لبيروت و١٥ فرنكاً للخارج

طبع في بيروت بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٩٠٣

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE BIMENSUELLE

Sciences — Lettres — Arts.

Sous la direction des Pères de l'Université S^t^ Joseph

Paraissant le 1 et le 15 de chaque mois
en un fascicule de 48 pages, grand in-8°
avec illustrations selon les besoins du texte.

SIXIÈME ANNÉE

1903

Prix de l'abonnement annuel: Beyrouth 12 francs — Union postale 15 francs.

BEYROUTH
Imprimerie Catholique
1903

المشرق

عامنا الجديد

نودّع بالشكران عاماً قد انقضى وبالحمد والتسبيح لله ننطقُ
ونتلو تحيّاتٍ لعامٍ هلالهُ تبدّى لنا والله فيهِ الموفّقُ
عسى الدهر لا يبلو العباد بآفةٍ ويغمرهم بالخير ربٌّ ويشفقُ
فهذا دعاء القلب جاء يزفُّهُ لقرّائهِ في غرّة العام مشرقُ

اسداد النيل الجديدة *

للاب بطرس دي فراجيل اليسوعي

من اعجب ما ذكرهُ العرب من آثار ملوكهم الاقدمين سدُّ مأرب او العرِم وهو حِبس ابتناهُ على ما رُوي سبأ بن قحطان بين جبلين بالصخر والقار فحقن بهِ العيون والامطار وساق اليهِ مياه الجبال وترك فيهِ خروقاً على قدر ما يحتاج اليهِ اهل اليمن في

* راجعنا لتسطير هذه المقالة الكتب الآتية: A. Chélu: *Le Nil, le Soudan et l'Egypte* = W. Willcoks: *The Nile Dam at Assouan and after* = Id.: *Egyptian Irrigation* = H. Pensa: *L'Egypte et le Soudan Egyptien.* = A. Milner: *England in Egypte* = W. Garstin: *Irrigation projects on the upper Nile* = Rapports et documents officiels = Journaux locaux.

سَقيهم (راجع الجزء الثالث من مجاني الادب ص ٢٩٥) . فهذا العمل الخطير جعل سهول اليمن كجنّات فيحاء اغنت سكّانها ما شاء الله

وما نقرأهُ عن قدماء العرب قد تمَّ اليوم فعلًا في بلاد اقرب الينا نريد الاقطار المصريّة وخزّانها الجديد في اسوان الذي احتُفل بافتتاحهِ في العاشر من الشهر المنصرم فكان الاحتفال يوماً مشهودًا حضرهُ الجناب الخديوي وشقيق ملك انكلترة الدوق دي كونوت والدوقة قرينتهُ مع قناصل الدول العظمى واعيان مصر ووجوهُ البلاد وكلُّهم بالبزّة الرسميّة هذا فضلًا عن الجماهير المجمهرة من الناس تقاطروا الى مشاهدة هذه الحفلة البهجة

على انَّ هذا المشروع الجليل مع خطر شأنهِ ليس هو الّا مقدّمةً لمسعىً آخر اجلّ واعظم يحاول ارباب السياسة المصريّة اخراجهُ الى حيّز العمل اعني بهِ ابتناء احواضٍ أخرى في النيل الاعلى لتكون مصر والسودان على مأمن من القحط ابد الدهر . ولمّا كان هذا الامر مما يهمُّ بلادنا الشرقيّة وترقّيها في معارج الفلاح احببنا ان نبسط الكلام في الاحواض النيليّة واسبابها ومنافعها

١

اعلم انَّ الذين لا يعرفون مصر حقّ المعرفة ولم يعيشوا فيها زمنًا طويلًا ربَّما حُدعوا بما يقرأونهُ عن النيل وخواصّهِ في قديم الاعصار. قال هيرودوت ابو التاريخ: « انَّ مصر هديّة النيل » . وقال عمرو بن العاص في كتابهِ الى الخليفة عمر بن الخطّاب بعد فتح بلاد الفراعنة: « انَّ كل خيرات مصر تأتيها من نهرها الميمون ». وقال المسيو شيلو (M^r Chélu) في مقدّمة كتابهِ النفيس عن مياه مصر وسقيها: « ان كل كتبة العهد القديم لسانٌ واحد في إطرائهم مصر ونهرها الجليل الذي يجلب اليها في كل سنة من اواسط افريقية بطين لزج يغطي مساحتها البالغة ١٠٠,٠٠٠ هكتار فيخصبها ويغنيها »

فالذين يقرأون مثل هذه الاوصاف لا يرون فائدة لحبس المياه وتنظيم السقي لزعمهم انَّ المياه اذا غمرت الاراضي ونضبت انعشت في قلبها حياةً جديدة فيكفي الزارع ان يبذر بذرهُ فينال بدلًا من الواحد مئة ضعف

ذاك قولهم وهم لا يدرون انَّ حالة مصر اليوم ليست كحالتها في الامس وذلك

لانَّ سطح النيل قد هبط الآن فصار دون سطح الاراضي التي يجري في وسطها فاضحى بذلك آفة للبلاد بعد ان كان خيرها الاعظم. فتراهُ سنةً لا يبلغ علوَّهُ القانونيَّ فتقحط البلاد لقلَّة الماء. وفي سنة يعلو سطحهُ علوًّا زائدًا فيجحف التربة بسيلهِ ويجرفها

والامر الاوَّل قد لحظهُ مهندسو البعثة الفرنسويَّة قبل مئة سنة ودلُّوا على سببهِ وهو ارتفاع التربة بما يأتيها من الطين الدسم ويبلغ مقدارهُ مسانهةً ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ طنّ من الموادّ اللزجة التي ترسب على سطح الارض مع مياه النيل عند نضوبها . وليست مصر السُّفلى الَّا مركَّبًا من هذه التربة الجرفيَّة وقد قُدّر سَمْكها في كلّ مئة سنة فوُجد ١٢٥ ميليمترًا فتكون ارض مصر ارتفعت منذ اربعة آلاف سنة خمسة امتار

امَّا الامر الثاني اعني جَرْف السيل للتربة فسببهُ خرابُ السِدَّة الطبيعيَّة التي كانت تحصر المياه فترفعها في تُرع متعدّدة. وهذه الاحباس الطبيعيَّة كصخور الشلَّالات وصمّ الجنادل عمل في عناصرها الحامضُ الكربونيّ الذي يأتي بهِ النيل الابيض في جملة ما يأتي من الاجسام الآليَّة المتحلّة . فهذا الحامض الاكَّال مع احتكاك المياه نخرا الصخور وخدَّدا فيها خدودًا بليغة فتغيَّرت هيئة مسيل النيل وزاد عمقهُ. واذا قابلنا الآن اعلى درجةٍ يبلغها مقياس النيل في سني فيضانهِ مع ما كان يبلغهُ في عهد الفراعنة وجدنا انهُ اليوم اهبط سطحًا منهُ سابقًا بثمانية امتار. ولنا على ذلك دليل واضح في ما دوَّنهُ الملك ماوريس (Mœris) على صخور « سَمْنة » بالحروف الهيروغليفيَّة. ونرى اهل دنقلة في ايَّامنا لا يمكنهم ان يسقوا اراضيهم الَّا بان يصعدوا مياه النيل خمسة عشر مترًا فوق سطحها

وعليهِ ترى على طول وادي النيل أُلوفًا وربوات من العمَلة ليس لهم من همّ الَّا استقاء مياه النهر بآلات شتَّى كالنواعير والشواديف والطلمبات ولولب ارخميدس فضلًا عن الادوات البخاريَّة. وكلُّ ذلك بخسٌ في الزراعة وخسارة فترى املاكًا كثيرة بارت بعد خصبها ورَيْعها . مثال ذلك انَّ بين خرطوم واسوان ٢٧٠,٠٠٠ كيلومتر مربَّع من الاراضي كان يسقيها النيل سابقًا فتأتي بالغلَّات العظيمة واليوم لا يُزرَع من هذه الاراضي سوى ٢٠٠٠ كيلومتر والباقي قد بسطت عليهِ الرمال كفنها فاهلكتهُ. وكذلك ما بين اسوان فالقاهرة لم تعد الارض تأتي باكثر من غلَّة واحدة

لصعوبة السقي . وان كان اهل مصر السُّفلى ينالون غلاّت متوالية فيحصلون على ذلك بعد الكدّ والنَّصب

هذا ومما اضعف تربة مصر واقفرها ما نوَّهَ بهِ المسيو شيلو قال انَّ اهل مصر منذ قرون متوالية يجرون في زراعتهم على طريقة واحدة دون مراعاة لطبيعة الارض وترويحها فصارت لا تأتي بما تأتي بهِ الاراضي الطيّبة في فرنسة وانكلترَّة وهولندة من الغلاّت . والامر في مصر اخطر منهُ في غيرها لانَّ حياة هذه البلاد متوقفة على الزراعة فاذا كسدت صار الاهلون جميعاً في ضنكٍ وبلاء لا سيَّما ان هذا البلد اليوم يبهظهُ دَين ثقيل ويصرف مُتَولُوهُ كلّ سنة المصاريف الطائلة منعاً لطغيان النيل ولاصلاح التُّرَع

فترى من ثمَّ انَّ مستقبل مصر من حيث احوالها الاقتصاديَّة ليس بزاهر لولا ان يتلافى اصحاب الامر هذا الخلَل بوضع سدود يُنظَّم بها الرّيّ . قال المسيو شيلو لو انَّ الله بسابق عنايتهِ لم يجعل شلاّلات للنيل لاقتضى الامر ان نقيمها نحن لمنافعها الجمَّة . ولما كانت هذه الجنادل قد خُدَّت باخاديد عميقة او ذهب بها الزمان فاتلفها لا بُدّ من وضع أسداد تقوم مقامها فيرتفع سطح مياه النهر وتُسقى الاراضي سقياً نظامياً ليزيد خصبُها وغضارتها ويصير النيل صالحاً لسير المراكب من البحر المتوسّط الى خطّ الاستواء

٢

اقدم اثر تاريخي ينبئنا بمساعي الفراعنة في اصلاح مجرى النيل ما ورد عن بركة قارون (بُحيرة ماويس) في اقليم الفيُّوم وبلاد الفيُّوم هي اليوم اخصب الاقطار المصريَّة وكانت في سالف الزمان غوراً متَّسعاً يبلغ تكسيرهُ الفي كيلومتر مكعَّب تأتيهِ مياهُ النيل بمسيل طبيعيّ يُعرف ببحر يوسف . وهذه البحيرة لم يحفرها الملك أمنمحعت كما يروي البعض استناداً على مزعم هيرودتس وانَّما جُعلت لها فقط سكورٌ في ايَّام ملوك الدولة الوسطى فصارت البحيرة كحوضٍ عظيمٍ تُحفظ فيهِ المياه الزائدة وقت الفيضان فتُصَبّ عند نقص المياه . وبقيت تلك البحيرة على ذلك مدَّةً يعلمها الله الَّا انَّ في القرن الثاني للميلاد كانت المياه قد هبطت هبوطاً عظيماً فصار سطحها اربعة امتار فوق البحر المتوسّط بعد ان كان يعلوهُ باحد وعشرين متراً . واليوم قد انحصرت المياه في هذه البحيرة حتَّى انَّ اتّساعها لا يتجاوز سعة بحيرة قُنْسطنس في سويسرة . وسنذكر

انَّ المهندسين فكَّروا في اصلاح هذا الحوض لسقي اراضي مصر

ثمَّ مرَّ على المصريين عشرون جيلًا دون ان يحاول احد من الملوك تنظيم مياه النيل وتحسين مسيلهِ . ومما يُنسَب للرومان عدَّة قنيّ وتُرَع حفروها لترويج التجارة والملاحة . ثمَّ عُني خلفاؤهم بكَسْح هذه القَنَوات وتنظيفها الَّا انَّ الفلاَّحين المسخَّرين بمثل هذا العمل الشاقّ كانوا يتنصَّلون منهُ ما امكنهم حتى انَّ القنيّ اضحت في القرن الثامن عشر مترعةً بالرمل والطين لا تصلح لجري المياه

ولمَّا قام محمَّد عليّ باشا لم يألُ جهدهُ في سدّ هذا الخَلل واصلاح سقي النيل . ومما فكَّر فيهِ ان يُخرِج الى عالم الوجود سكرًا عظيماً في راس مصر السفلى المعروفة بالدَّلتا حيث النهر ينقسم الى قسمين فيرفع سطح المياه اربعة امتار الى اربعة ونصف صعودًا . وقدَّم لهُ مهندسان فرنسويَّان رسمَين يختار منهما ما شاء فالرسم الاول اصطنعهُ الباشا لينان دي بلفون (Linant de Bellefonds) غايتهُ ان يُبنى خزَّان للنيل شماليّ تلك النقطة ويقوَّم مجرى النهر الَّا انَّ هذا الرسم أُهمل لما كان يقتضيهِ من النفقات . والرسم الثاني وضعهُ موجل بك (Mougel - bey) فاصاب رضى محمَّد علي باشا وكان موجل بك اظهر اقتدارهُ على الاعمال الهندسيَّة باصلاحهِ لمرفإ الاسكندريَّة فسلَّمهُ محمَّد عليّ باشا هذا العمل الجديد الاهل بالجبابرة

فباشر المهندس هذا المشروع العظيم في سنة ١٨٤٣ ساعدهُ في اتمامهِ ١٢٠٠٠ جندي والفُ عمَّار الَّا انَّ نشاط العَملة خمد بعد ذلك وحال دون العمل من المصاعب ما لم يكن في الحسبان . منها انَّ المهندس لم يجد في التربة صخرًا ثابتًا يبني عليهِ الاساس فلزمهُ ان يحفر خنادق عميقة استغرقت كثيرًا من المال فتصدَّى لهذا العمل وزير الماليَّة وعاكسهُ فارتخت عزائم المهندس ولم يواصل عملهُ الَّا بعد العناء والمشقَّة وبقي هذا الخزَّان غير تامّ الأُهبة ناقصاً من عدَّة وجوه فأُهمل منذ سنة ١٨٦٧ واستولى عليهِ الخراب شيئًا فشيئًا . وغاية ما كان يخزنهُ من المياه اربعة امتار ليس الَّا

ولمَّا كانت السنة ١٨٨٥ قرَّرت الحكومة بان يُصرف على ترميم هذا الخزَّان ستَّة ملايين من الفرنكات فباشر اصحاب الامر هذا العمل باغراء السير كولين منكريف (sir Colin Moncrieff) ونظارة الكولونل مهندس

العسكر وِسترْن (Western) والمهندس البلدي رَيد (Reid) فاشتغلوا في هذا الاصلاح خمس سنوات ولاقوا في اثناء الامر مشاكل لا تُحصى وصفوها في كتابٍ خاصّ نشروهُ في ذلك

وبعد الفحص المدقّق وجدوا انّهم لا يستطيعون اصلاح الاساسات دون خطر سقوط البناء كلّهِ فقسموا العمل اقساماً ونشّفوا جانباً من الخزّان نحو ٣٠ قنطرةً منهُ فافردوها ووطّدوا دعائمها بالحجارة الضخمة والكلس الفرنجي واعلوا اساسها مترًا وربع متر ثمّ انتقلوا الى الاقسام الاخرى الى ان انتهوا من العمل. وكثيرًا ما كانت المياه المنبجسة من الارض تغمرُ العمارة في مطاوي الشغل فتمكّنوا من قطعها بقصبات حديديّة كانوا يغرسونها في التربة ويجعلون لها قساطل يجري منها الماء الى خارج البناء. واشتغل العَملة في هذا الامر وحدهُ ثلاثة اشهر ليلًا مع نهار

وخزّان الدّلتا هذا ينقسم الى قسمين: قسمٌ على شعبة رشيد طولهُ ٥٢٢ مترًا و ٢٠ سنتيمترًا يتركّب من ٧١ قنطرة و ٦٨ مفتاحاً لجري المياه وسِكّرَين سِكر في كلّ طرفٍ. وقسم على شعبة دمياط طولهُ ٤٥٢ مترًا و ٣٠ س تعلوهُ ٦١ قنطرة مع ٥٨ مفتاحاً وسِكّرَين ويجمع بين هذين القسمين رصيف مستدير في وسطهِ ترعة المنوفيّة

وهذا الخزّان المسمّى بطن البقرة يؤدي لمصر السفلى خدماً جليلة وان فاقتهُ الاحباس الجديدة فمنهُ تجري المياه الى القنوات الستّ التي ترى تُحيّت القاهرة فتحيي الزراعة في البلاد الساحليّة وتضمن لاهلها القوت والحياة. والمياهُ التي تصبُّ من هذا الخزّان تعادلُ في كميتها ستّة او سبعة اضعاف مياه التامیز نهر لندن

٣

ولكن ان كانت حياة المصريين مضمونةً في اسافل مصر منذ سنة ١٨٩٠ فالامر لم يزل في لُبس وإشكال لمصر الوسطى وللصعيد واهلها تحت خطر الضنك والمجاعة لولا ان يُتلافى امر النيل وينظَّم رِيُّهُ

واوّل من فكّر في استدراك الخلل فرنسويّان همامان الكنت دي لاموت ورصيفهُ المسيو جاكهْ صاحب خزّان نهر السُّون في مدينة ليون فعرضا على الحكومة ان يبنيا حوضاً كبيرًا تربيعهُ ٧٩٠ كيلومترًا في قمّ انبوس جنوبيّ عقبة جبل سلسلة تحت اسوان على مسافة ٥٥ كيلومترًا منها. وكان المهندسان يحدسان انّ هذا الحوض

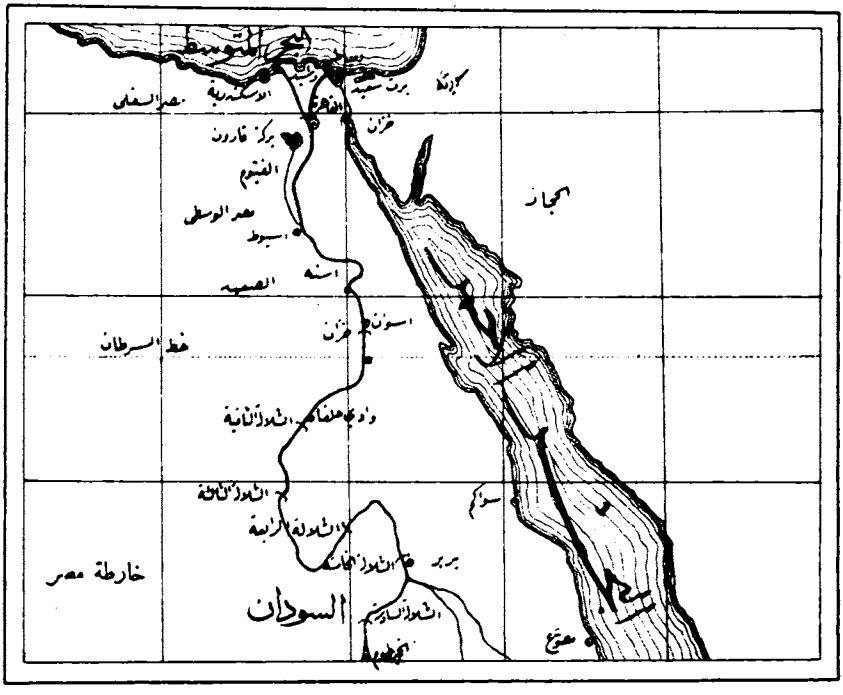

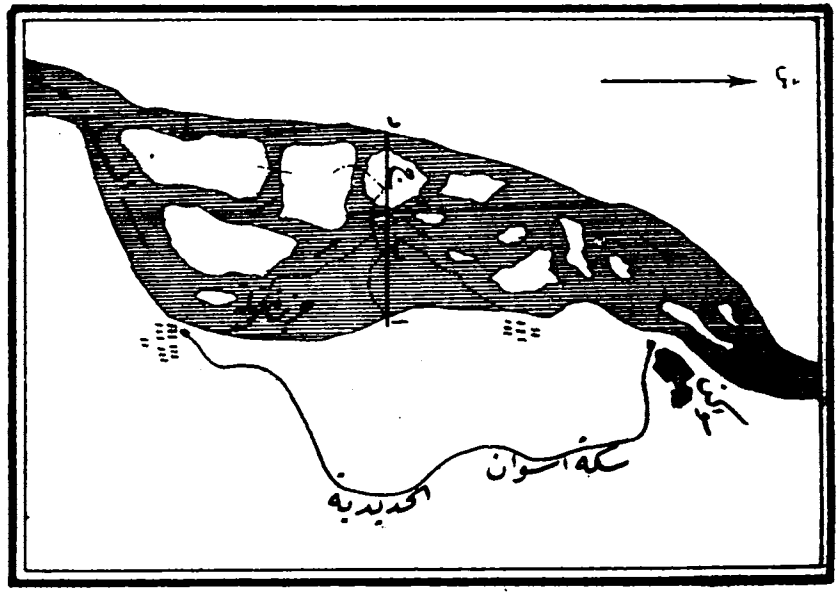

نظر موقع خزّان اسوان وفيلة من علُ ا ب ج د خزّان اسوان الحالي

يمكنهُ ان يخزن سبعة مليارات متر مكعب من الماء حتى اذا جرى منهُ مدَّة مئتي يوم ٣٠ مليون متر مكعَّب في اليوم لا تنضب مياههُ . فوقع هذا المقصود الخطير موقعاً حسناً لدى لجنةٍ من المهندسين عُقدت لفحصهِ مع الشرط بان يُراقَب المكان ويُدقَّق البحث عنهُ . وفي سنة ١٨٨٧ عاد الكنت دي لاموت وعرض بناء حوضٍ ثانٍ في سهل قلابشه على مسافة نحو ٥٠ كيلومترًا من الشَّلالة الاولى

فأُرسل سنة ١٨٩٠ وفدٌ من المهندسين ليفحصوا المكانين ويتعرَّفوا علوَّهما بالتدقيق فوجدوا انّ ابتناء الحوضين امرٌ عويص تحيب دونهُ الآمال لا سيَّما ان سهل قلابشه اعلى من ان يُجعل حوضاً للمياه

فاتَّجهت حينئذٍ الافكار الى سهل الفيُّوم السابق ذكرهُ واوّل من استلفت الانظار اليهِ المسيو لينان دي بلفون في كتابهِ عن تاريخ وزارة النافعة في مصر واشار الى تحويض بحيرة ماوريس اي بركة قارون . واستصوب الكنت دي لاموت هذا المشروع وأيَّدهُ بتعريف انخفاض وادي ريَّان الذي تغمرهُ البحيرة المنوَّية جنوبيّ الفيُّوم . وكذلك فصَّل الامر احد العلماء الاميركيين وبيَّن رسمهُ واتساع البحيرة وكميَّة مائها وقدَّر ما يقتضيهِ المشروع من النفقات بنحو عشرين مليونًا . الَّا انّ هذا المسعى ايضاً لم يتمّ فعلًا لاسباب منها قرب وادي ريَّان الى القاهرة فلا تنتفع مصر الوسطى كثيرًا من هذا الحوض

وعُرض على الحكومة بعدئذٍ مشروع آخر للكولنيل روس (Ross) غايتهُ اصلاح تُرَع متفرّقة في مصر الوسطى والصعيد وحدس بان هذا الامر لا يكلِّف اكثر من ٢٠ مليونًا ونصف مليون فرنك . فاستحسن اهل النظر هذا المقصد لكنَّهم ارتأوا انّ خير العموم يقتضي مشروعاً آخر اعمّ فائدة

فقدَّم اذ ذاك الفرنسي المسيو پرومت (M^r Prompt) ناظر الجسور والقنوات رسماً آخر غايتهُ ابتناء خزَّان في اسوان مع تمهيد الطرق للحكومة المصريَّة لفتح السودان . وكان ذلك في سنة ١٨٩١ والحرب السودانيَّة قائمة على ساق . وكان اول منفعة تنجم من هذا المشروع أن يُجعَل النيل صالحاً للسفن من اسوان الى خرطوم وذلك بابتناء عشرين خزَّانًا بين المدينتين فيرتفع سطح المياه عن قعرها مترًا واحدًا على الاقلّ . وممَّا اقترحهُ المسيو پرومت ان تكون اسوان منتهى السكة الحديديَّة في الصعيد ويُبتنى فيها حوضٌ علوُّهُ خمسة او ستَّة امتار ثمَّ يُضاف اليهِ حوض ثانٍ علوُّهُ

١٧ متراً في مضيق قلابشه يُخزن فيهِ كميَّة من المياه تبلغ ١٥٠٠٠ مليون متر مكعَّب. واذا تمَّ كلُّ ذلك صار السودان تحت حكم مصر واضطرَّ اهلهُ ان يرسلوا كلَّ محصولاتهم على طريق مصر

فهذا هو المشروع الاخير الذي كان أساساً لما نجز اليوم بالفعل سبق الى وضعهِ مهندس فرنسوي فاتتهُ من بعده المهندسون الانكليز

(التتمَّة لعددٍ قادم)

السَّمَنْدَل

للكاتب المتفنن البارع الاب انستاس الكرملي

في اللغة العربيَّة ألفاظ كثيرة لا يُعرَف اليوم معناها الحقيقي وذلك امَّا لقصور التعريف الذي ورد بخصوصها. وامَّا لابهامهِ وغموضهِ وامَّا لقولهم « معروف » وهو اليوم عندنا « مجهول » او نحو ذلك من أساليب الكلام الذي لا يُغني عنهُ فتيلًا ولا يُروي غليلًا مع اننا اصبحنا في زمانٍ نحن في حاجة ماسَّةٍ الى معرفتها لان اغلبها من المواليد الثلاثة التي لجهلنا ما وصفهُ السَّلَف من تلك الحروف نتَّخذ بدلًا منها الفاظاً اعجميَّة نحن في غنًى عنها. وزد على ما تقدَّم أنَّنا اذا توفَّقنا الى كشف غوامضها نستفيد منها فوائد جمة: منها اننا نفهم فهماً جليًّا معنى تلك الالفاظ عندما يذكرها العرب في مؤلفاتهم. ومنها أنَّنا نتمكَّن من استعمالها في مواطنها ومساقطها من كتاباتنا كُلَّما احتجنا اليها. ومنها تخليص هذه اللغة الشريفة من الابهام الذي يُتعب الافهام ويدفع النفس الى السآم

وقد بذلتُ ما في الوُسع لازاحة القناع عن مثل هذه الالفاظ فوقفت والحمد لله على كثير من حقائق معانيها ودقائق مدلولاتها ومبانيها امَّا بمعرفة الاعجميّ الذي أُخذتْ عنهُ وإمَّا من إعمال الفكرة فيها وامَّا اني اهتديتُ الى ضالَّتي نَبَهاً حتى انهُ لم يَبقَ للشبهة فيها سبيل. ومن هذا القبيل كلمة « سمَندل »

قال الدميريّ: « السَّمَندل » بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولام